ورقة عمل عن
الخدمة الاجتماعية الروحية في عصر العولمة

إعداد

أ.م.د/ عبداللاه صابر عبدالحميد

أستاذ خدمة الفرد المساعد

ورئيس قسم خدمة الفرد

بكلية الخدمة الاجتماعية – جامعة أسوان

مقدمة:

يزداد الاهتمام العالمي يومًا بعد يوم على مستوى الدول والشعوب بموضوع العولمة ومظاهرها المختلفة،ويكاد أن يستأثر هذا الموضوع على مساحة كبيرة من الرأي والفكر والحوار والنقاش في وسائل الإعلام والمؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية ،وهذا يعني أن العولمة من القضايا المهمة التي تشغل بال كثير من العلماء والمفكرين,والمنظور الغربي للعولمة يسعى إلى جعل العالم عالمًا واحدًا،موجهاً توجيهاً واحدًا في إطار حضارة واحدة تنادي بتدمير كل ثقافة ذات طابع إنساني أو أخلاقي وتؤمن بالمادة ووحدة العقل وتضخيم الليبرالية والهيمنة المطلقة لتمكين الغرب من فرض سيطرته على الدول الفقيرة من خلال ما تؤدي إليه هذه العملية من بطالة وتقليص دور الدولة في المراقبة والتخطيط وتدمير ثقافة الشعوب وفرض ثقافة مادية مختزلة لا تنطوي على فلسفة أو توجه أخلاقي أو عقائدي.

والعولمة من أكثر المفاهيم التي أثارت الجدل والنقاش بين المفكرين والكتاب في الكثير من المجالات،ومن خلال الكتابات النظرية التي تناولت العولمة نجد أنها مفهوم مركب يشتمل على أبعاد اقتصادية وثقافية وسياسية واجتماعية متعددة،والصياغة اللغوية لمفهوم العولمة، تدل علي أنها ذات مضمون ديناميكي يشير إلى عملية مستمرة من التحول والتغير، بمقتضاها تتحول النظم الاجتماعية من الإطار القومي لتندمج وتتكامل مع النظم الأخرى في الإطار العالمي فالعولمة تمثل العملية التي من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها ثقافياً،واقتصادياً،وسياسياً،وبيئياً (السيد أحمد مصطفي2000م: 71).

وبالنظر إلي الهدف الحقيقي للعولمة نجد أنها تسعي في المقام الأول إلي تحقيق المصالح الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية لدول المركز الرأسمالي وتعميق تبعية دول الأطراف لها,وذلك من خلال وسائل تحقيق العولمة وهذا لا يعني أن جميع آثارها ستكون منظمة ومتقنة ومتفقًا عليها بين الدول الغربية التي تقود العولمة ،وإذا سلمنا بمظهرية النظام في الأثر المادي الصناعي والاقتصادي فلا يمكن أن نسلم به في الأمور المعنوية التي تتصل بالتدين والفكر

والقيم ونظام الحياة والنظرة إلى الإنسان والأسرة والعلاقات البشرية وعقيدة اليوم الآخر(عبدالوهاب المسيري,1420هـ:22)

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن العولمة الصحيحة هدف إنساني لا غني عنه إلاّ بنشره وتعميمه، ولا طريق للإنسانية أمامها إلاّ بالدخول فيها والانتماء إليها، علماً بأنّه لم يكن الدخول فيها قد بدأ في هذه الأيام، بل منذ إرسال الأنبياء أولي العزم (عليهم السلام) وأخذت تتبلور وتتكامل منذ بدء عهد الرسالة الإسلامية، ففي يوم الأحزاب عندما كان رسول الله ρ والمسلمون معه يحفرون الخندق حول المدينة استعصى عليهم حجر صلد، فضربه رسول الله بمعوله فانقدحت منه شرارة وسطع منها نور، فقال (صلى الله عليه وآله) وهو يبشر المسلمين: إني رأيت فيه قصور الحيرة ومدائن كسرى، ثم ضربه ثانية وثالثة، فانقدحت في كل ضربة شرارة ، وسطع منها نور كذلك وفي كل مرة يقول (صلى الله عليه وآله) لأصحابه بأنه رأى فيها هدفاً من الأهداف العالمية، حيث بشّر المسلمين بأنهم يصلون إلى تلك البلاد وينشرون الإسلام فيها،فإن الإسلام دين عالمي(عبد الناصر محمد مغنم,1419هـ: 6).

ولا بد لنا أن ندرك أن العولمة وضع عالمي جديد لا يمكن تجاهله وأن نسلك موقف الوعي والاعتدال، هذا الموقف حدده سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز في كلمة المملكة العربية السعودية في قمة الخليج التاسعة عشر حيث قال:"إننا نرحب بعولمة الاقتصاد وبعولمة الاستثمار،ولكننا نرفض عولمة الفكر الفاسد، ونرفض عولمة الانحراف الذي يختفي تحت أسماء براقة، وهذا لا يعني الجمود في الحركة، فصدورنا وبيوتنا مفتوحة لكل جديد مفيد، ولكنها موصدة في وجه الرياح التي تحاول زعزعة معتقداتنا، وخلخلة مجتمعاتنا، فمنهجنا يستمد قوته من وسطية الإسلام الذي يتخذ موقفًا معتدلاً من القديم والجديد، مستنيرين بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،وبسنة نبيه المختار– عليه أفضل الصلاة والسلام– ولا يراودني أدنى شك من أن سراج العقيدة سيبين لنا الطريق المستقيم عندما تلتبس الطرق،وتتلبد الأجواء بالغيوم" (هاشم عبده هاشم،1420هـ :18–19).

فالإسلام هو أول من جاء بأسس العولمة الصحيحة الشاملة لجميع القوانين الصالحة لإدارة العالم كله فلم يكن الإسلام يوماً للعرب وحدهم ،ولم يكن القرآن يوماً لقريش وحدها،فهذه العولمة لا تتسم بالجبر ولا تعرف الإكراه،لأنها تتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها أن أنها سلوك تلقائي للنبوغ المادي أو الروحي ،ونتاج طبيعي للتفوق الحسي أو المعنوي فالإنسان مهما كان بلده وموطنه هو إنسان،وله نفس المشاعر والأفكار الجسدية التي يحملها كل إنسان آخر، وإنما الاختلاف غالباً في الأفكار والآراء، والقدرات العقلية التي يدرك بها أنّ للكون إلهاً واحداً قادراً عادلاً حكيماً،وكل شيء ينحرف عن هذا المعتقد السليم فهو انحراف عن الفطرة,ولذلك ينظر التصور الإسلامي إلى الإنسان في ضوء القرآن والسنة النبوية المطهرة وجهود السلف الصالح رضوان الله عليهم وفى ضوء الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،والجنة والنار ،والثواب والعقاب والقضاء والقدر خيره وشره،وكل هذه الجوانب الإيمانية مفقودة في النماذج والنظريات الغربية التي لم تتمكن من تقديم العلاج المناسب لمشكلات الأفراد في المجتمعات الإسلامية ؛لأنها أغفلت أهم الأسس الإيديولوجية والتي يقوم عليها المجتمع الإسلامي وهو الدين الإسلامي الحنيف عند التعامل مع هذه المشكلات(إبراهيم رجب,2000م: 127).

والمنظور الإسلامي لتفسير السلوك هو الموجه للباحث المسلم في تعامله مع المعلومات والمعارف التي يتعامل معها في مجال تخصصه وهو الهادي له إلي سبيل المعرفة الحقة المبنية على التوازن في الأخذ من المصادر المتاحة للباحثين، وأهم مصادر المنظور الإسلامي لتفسير السلوك هي الوحي، والخلق (الحواس – العقل – الحدس – الإلهام– السنن) وكلا من المصدرين من عند الله سبحانه وتعالى (صالح الصنيع ,2010م :171).

وفي هذا السياق قام في البداية العديد من الباحثين بمحاولات جادة كانت اللبنة الأولى في ظهور الكتابات التي تهتم بالتأصيل الإسلامي للعلوم وتدعو إلى أسلمة المعرفة بصفة عامة والعلوم الإنسانية بصفة خاصة ثم توالت بعد ذلك الكتابات في العديد من المجلات والدوريات العملية مثل مجلة عالم المعرفة ,ومجلة المسلم المعاصر وإصدارات المعهد العالمي للفكر

الإسلامي مما دعى العديد من المؤسسات والجامعات بتنظيم المؤتمرات والندوات العلمية التي اهتمت بالتأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية حيث عقدت ندوة علم النفس والإسلام بجامعة الملك سعود ،الرياض سابقاً في الفترة من 12-1398/16/11هـ وتم مناقشة ثلاثة وعشرون دراسة , تناولت هذه الدراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس ,ونظم المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع جامعة الخرطوم المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي في الفترة من 15: 5/20 /1407هـ والذي تناول منهجية العلوم الإسلامية والعلوم النفسية والتربوية ،وعقدت ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة من 5: 6/6 /1407هـ ، وقام المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة بالتعاون مع مركز صالح كامل بجامعة الأزهر بتنظيم ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام والمؤتمر الثاني للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ،ثم تم بعد ذلك تنظم العديد من المؤتمرات الخاصة بالتوجيه الإسلامي بالتعاون مع معاهد الخدمة الاجتماعية بشكل دوري وذلك في العقد الأخير من القرن العشرين،وكان آخر هذه المؤتمرات المؤتمر السادس للتوجيه الإسلامي2002م بقسم الخدمة الاجتماعية جامعة الأزهر ،ساهمت هذه الندوات والمؤتمرات بشكل إيجابي في بلورة منهجية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والنفسية وخاصة الكتابات الجادة للأساتذة المخلصين الذين ساهموا بشكل واضح في بلورة منهجية التأصيل الإسلامي في العلوم النفسية والاجتماعية ومحاولة صياغة العديد من الممارسات العلاجية من المنظور الإسلامي كما حاولت العديد من البحوث والدراسات التواصل الي ممارسات علاجية للمشكلات النفسية والاجتماعية من المنظور الإسلامي ولم تكن تلك الدراسات في الدول الإسلامية فقط بل كانت هناك محاولات فى المجتمع الغربي والأمريكي تدعو إلى الاهتمام بالجوانب الروحية والدينية في شخصية العميل عند وضع خطة العلاج للتعامل معه ,وقي هذا الإطار توصلت احدي الدراسات عن وجود علاقة ايجابية بين ممارسة العلاج المستمد من المنظور الإسلامي وتحسين العلاقة بين المريض النفسي وزوجته وأبنائه وأهله وأصدقائه

وأقاربه وأمكن مساعدته في الرجوع إلى عمله والانتظام فيه، والقيام بأدواره كزوج، ووالد ،والأدوار المتعلقة بالعمل (عادل موسى جوهر, 2002م :1-27).

واستهدفت دراسة أخرى التعرف على مدي تأثير العوامل الدينية والروحية على حياة الشباب المتشرد ومدى قدرتهم على مواجهة المشكلات التي تواجههم، وأسفرت هذه الدراسة عن حدوث تغيرات إيجابية في جوانب شخصيتهم وزيادة قدرتهم على مواجهة هذه المصائب والمشكلات، وتمثلت العوامل الدينية والروحية في زيادة الاعتقاد بعمق الإيمان والاشتراك في الممارسات الدينية وإيجاد هدف ومعنى للحياة (Williams:2004).

وحاولت دراسة أخري التعرف على مدى تأثير دراسة المقررات الدينية على قيم واتجاهات الدارسين لها وتوصلت الدراسة إلى زيادة ذات دلالة إحصائية في أبعاد القيم والممارسات الروحية والدينية، بعد دراسة المقررات الروحية في الخدمة الاجتماعية من خلال قائمة الإجادة الروحية.(Bethel Joyous:2004) .

كما حاولت دراسة أخرى التوصل إلى أساليب علاجية معرفية من منظور إسلامي حيث أوضحت الدراسة أن التدخل العلاجي الذي يهتم بالقيم الدينية والثقافية لدى العملاء يكون أكثر فاعلية،وأن استخدام أساليب علاجية لا تتفق وقيم العملاء تؤدي إلى تدمير العلاقة العلاجية،وتوصلت الدراسة إلى العديد من الأساليب العلاجية التي تتفق مع القيم الدينية والثقافية للعملاء المسلمين في المجتمع الأمريكي منها ضبط النفس والاعتماد على الله،وقبول الآخرين،وتحمل المسؤولية وتقبل المحن والصعاب،وأوصت هذه الدراسة المعالجين بضرورة الإطلاع والقراءة المتصلة بالقيم الإسلاميةعند التعامل مع العملاء المسلمين في المجتمع الأمريكي (Hodg &Nadir:2008) .

وأوضحت دراسة أخرى أن التدخل العلاجي المعرفي من المنظور الإسلامي مع العملاء المسلمين في المجتمع الأمريكي يتم من خلال إعادة بناء المفاهيم والأفكار المستمدة من العقيدة الإسلامية، وفهم الواقع الدنيوي الزائل، والتركيز على الحياة الخالدة في الآخرة ، ومعرفة مدى تأثير التعرض للمحن والكروب،والثقة في الله والاعتماد عليه،وذكر الله وقراءة

القرآن،وفهم(إن مع العسر يسراً) وأثبتت الدراسة نجاح هذه الأساليب أثناء التطبيق الفعلي مع إحدى الحالات المسلمات في المجتمع الأمريكي (Aisha Hamdan,2008)

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن الاهتمام بالجوانب الدينية والروحية لا يقتصر على مجتمع المسلمين فقط بل هناك اهتمام عالمي بضرورة الاهتمام بالجوانب الروحية والدينية في شخصية العميل عند التعامل معه مما يؤكد أهمية العمل على تدعيم الجوانب الدينة والروحية في شخصية العميل اثناء التعامل مع المشكلات النفسية والاجتماعية

لذلك تحاول هذه الورقة التعرف ظاهرة العولمة والتأثير الفكري والاجتماعي لها وتأصيلها إسلامياً، والاستفادة من ذلك في بلورة أساليب للعلاج النفسي والاجتماعي من المنظور الإسلامي في ضوء ذلك يمكن صياغة التساؤل الرئيسي للدراسة الحالية فيما يلي: ما هو التصور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية الروحية في ضوء عصر العولمة ؟

أهمية البحث:

1- ما أكدت عليه العديد من الكتابات النقدية لظاهرة العولمة وأخطارها على الأمة الإسلامية وكيفية توظيف كل ما هو جديد في عالم المعرفة والاستفادة منه وبما لا يتعارض مع المعتقدات الدينية وقيمنا الأخلاقية والثقافية.

2- ما توصلت إليه الكثير من الدراسات والبحوث السابقة بضرورة مراعاة الجوانب الدينة والروحية عند التعامل مع المسترشدين أو مع العملاء أثناء التدخل العلاجي مع المشكلات النفسية والاجتماعية.

3- العمل على زيادة فاعلية ممارسة الخدمة الاجتماعية وبما يتفق وطبيعة المجتمعات الإسلامية.

أهداف البحث:

1- التعرف على مفهوم ظاهرة العولمة والتفسير الإسلامي لها وآثارها السلبية على المبادئ والقيم ونظم الحياة الاجتماعية.

2- بلورة تصور لممارسة الخدمة الاجتماعية في ضوء نظرة الإسلام المتفردة إلى الكون والإنسان والحياة الشخصية المستمدة من توحيد الله – تعالى –وشريعته ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

3- تحديد الخطوات الإجرائية التي تعمل على الممارسة الفعالة لأساليب العلاج النفسي والاجتماعي في ضوء التصور الإسلامي بهدف مساعدة الأفراد على تحسين صلتهم بالله تعالى ومساعدتهم على مواجهة مشكلاتهم النفسية والاجتماعية.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الورقة علي منهج البحث المكتبي من خلال الرجوع إلى المصادر المكتبية المختلفة المرتبطة بمعارف وتعاليم الدين الإسلامي المستوحاة من الكتاب والسنة والسلف الصالح وفقهاء الشريعة الإسلامية ،بالإضافة إلى معارف العلوم النفسية والاجتماعية والنظريات الحديثة التي لا يتعارض أي منها مع الدين الإسلامي الحنيف بهدف مساعدة الأفراد على تحسين مستوى تدينهم وتقوية صلتهم بالله تعالى وإشباع احتياجاتهم ومواجهة مشكلاتهم وتنمية قدراتهم إلى أقصى حد ممكن وذلك من خلال استثارة عناصر القوة الروحية والثقة في الله,وإعادة البناء المعرفي في ضوء المفاهيم الإسلامية والتخفيف من المشاعر السلبية، وتعديل السلوك والاستفادة من الموارد البيئية المتاحة.

العناصر الأساسية للبحث

1- مفهوم العولمة والتصور الإسلامي لها:

مصطلح العولمة لم يكن له وجود قبل منتصف عقد الثمانينيات الميلادية؛ إذ أنه قبل هذا التاريخ لم يكن له حضور خاص، بل إن قاموس أكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة أشار إليه لأول مرة عام1991م واصفًا إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينيات، ثم إنه لو كان موجودًا فيبدو أنه لم يَسْترع أي اهتمام أو انتباه، أو أنه كان يعامل معاملة الكلمات العابرة التي لا تشير إلى مفهوم خاص أو واقع خاص؛ لكن الحال تغير بعد التسعينيات حيث بدأ يتكون له مفهوم،وصار من أكثر المصطلحات تناولاً وتداولاً ونقاشًا فهي

اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش(الحبيب الجنحاني, 1420هـ:25)

ومن الأهمية هنا الرجوع إلى اللغة لتحديد المعنى اللغوي لمفهوم العولمة، فهمي كلمة مشتقة من" عالم" التي يعرفها " مختار الصحاح "بالخلق "وتجمع على عوالم " والعالمون "ومصطلح العولمة يعود في الأصل إلى الكلمة الإنجليزية "Globalization" المشتقة من كلمة Globe أى الكرة والمقصود هنا الكرة الأرضية وتدل كلمةGlobalization باللغة الانجليزية على مشروع لمركزة العالم فى حضارة واحدة وكمفهوم تشير العولمة إلى شيئين معا: انكماش العالم وازدياد الوعى بالعالم ككل(بشير معمرية، 2008م: 194)

ومن خلال الكتابات التي تناولت مفهوم العولمة نجد ان هناك عدداً من الباحثين صاغوا عدداً من المحاولات لهذا المفهوم من خلال بالتركيز على بعد واحد فقط من أبعاد العولمة، كانت هذه الأبعاد تتمثل في البعد الاقتصادي والسياسي والثقافي،والملاحظ على هذه المحاولات أنها جزئية وناقصة،وذلك لأن مفهوم العولمة متعدد الأبعاد،ولذلك يكون من الصعوبة الأخذ بمفهوم يركز على بعد واحد فحسب،ولذلك ظهرت عدد من المحاولات الأخرى التي حاولت الاقتراب من مفهوم العولمة من خلال التركيز على أكثر من بعد،والنظر إلى مفهوم العولمة على أساس أنه مفهوم مركب يشتمل على أبعاد متعددة، وفي ضوء ذلك يمكن تعريف العولمة ان المقصود بالعولمة هى إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب بعضها البعض وبين الأوطان بعضها البعض وبين الثقافات بعضها البعض وبذلك يقترب الجميع من ثقافة كونية وسوق كونية وأسرة كونية (سلمان الأحمد وآخرون،2009م :79)

وتعرف العولمة بأنها: تحويل العالم إلى قرية واحدة يتحكم فيها نظام رأسمالي واحد، يلزمها بالتخلي عن ديانتها وقيمها وحضارتها شرطًا لتحقيق النجاح في مجال تنمية الاقتصاد والسوق وجودة الأسعار (عبد الناصر مغنمد,1419هـ: 6)

وأشار تعريف آخر للعولمة علي أنها: استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم حول إرادة مركز واحد من مراكز القوة في العالم (عبدالصبور شاهين ,1420هـ: 140)

وفي هذا الإطار أوضح أحد التعريفات أن العولمة مرحلة تاريخية لتطور البشرية، تتم من خلال ثلاث آليات أساسية:

1- ثورة المعلومات والاتصالات.

2- صعود رأس المال العالمي إلى مركز القيادة في عملية التطور الرأسمالي.

3- نمو نشاط الشركات الدولية وتوسعه من خلال عمليات الاندماج المتزايدة (محمودعبد الفضيل ,2000م:110-128).

كما أوضح تعريف آخر أن العولمة عملية تجري على أرض الواقع، لها مستويات متباينة هي: المستوى الأول: ويتمثل في تزايد سرعة الانتقال لمفردات عديدة في الحياة الدولية(تزايد سرعة انتقال البضائع والخدمات ورءوس الأموال والأشخاص، والأخبار، والصور وغير ذلك) .المستوى الثاني: هو ظهور شبكات تفاعل عالمية، وأهم تجسيد لهذه الشبكات العالمية هو شبكة الإنترنت. المستوى الثالث: ويتمثل في ظهور نظم عالمية، فهناك نظام مالي عالمي، وهناك نظام نقدي عالمي، وغير ذلك من النظم التي انتشرت لدى المجتمعات في العالم (مصطفى كامل السيد:2000م: 95-96).

كما أن هناك تعريف اخر أكثر شمولية للعولمة يري انها مفهوم يتضمن ما يلي :

(أ) أزمات وتناقضات يمر بها النظام الرأسمالي ذاته .

(ب) محاولة لنشر حضارة السوق المعولمة حيث العمل على تحويل كل شيء إلى سلعة متداولة في السوق.

(ج) أزمة شعور بفقدان الذات، ومن ثم تعد العولمة معبرة عن صياغة فكرية – أيديولوجية مستحدثة – مغلفة بالمبادئ الإنسانية كالديمقراطية والمساواة والحرية الكاملة على الأصعدة الدولية (أحمد مجدي حجازي:1999م:140). وفي ضوء ما سبق يمكن القول بان تحديد معنى العولمة أدى إلى إيجاد نوع من التباين في تحديد الآفاق المستقبلية لهذه الظاهرة ،وهذا يعني أن المستقبل سيكون غامضًا غير واضح المعالم،لذا لا يمكن إسقاط النظرة المتشائمة التي ترى أن دفع الشعوب إلى العولمة سينتهي إلى فوضى حضارية، من أبرز ملامحها الفراغ

الروحي وضياع القيم وشيوع الإباحية وضعف العلاقات الأسرية وانعدام الأمن وازدياد البطالة ورواج المخدرات وتدهور الوضع البيئي وتفشي الأمراض الفتاكة والمعدية وانتشار الحروب الطائفية وتفاقم ظاهرة العنف(الحبيب الجنحاني , 1420هـ:11) .

ولا يقتصر التذبذب بين قبول العولمة ورفضها على الدول النامية؛ بل هناك غربيون يحجمون عن تبني العولمة خوفاً من التدهور الاجتماعي الذي سيصيب العالم بسببها فقد رأى بعضهم أن العالم يتجه إلى تلك المأساة، التي ستقف حيالها الأجيال القادمة حيارى يتساءلون عن سبب عدم تدبير إجراء ما بحقها في الوقت المناسب،ألم تلمس الطلائع الاقتصادية والسياسية العواقب الوخيمة التي أفرزها التطور الاقتصادي والتكنولوجي ؟ وما هي العوائق التي حالت دون اتخاذهم الخطوات اللازمة لتفادي أزمة اجتماعية شمولية (هانس وآخرون، 1998م:375)

وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الدراسات أكدت على أن التأثير السلبي للعولمة فقد أشارت دراسة صادرة عن جامعة بسويسرا متخصصة في العلوم الاقتصادية أن العولمة وراء (65%) من حالات الإصابة بأمراض الاكتئاب والقلق النفسي والإجهاد العصبي في الدول التي طبقت معايير العولمة بقوة(Dinesh,et,al,2004:11)

وأوضحت دراسة أخرى أن هناك نوع من المرض النفسي يعرف بقلق العولمة ارتبط بالعولمة مباشرة بما تحمله معها للعديد من الشعوب من مشكلات اقتصادية وسياسية وثقافية ومن بطالة وفساد وتلوث وتوزيع غير عادل للثروات وتصاعد الصراعات المتنوعة الطائفية والدينية والثقافية والتربوية كل ذلك يطرح بشدة قضايا الأمن الاجتماعي والنفسي لبني البشر على الساحة العالمية بقوة لغرض ضمان حياة إنسانية صحية يكون فيها الإنسان هو القيمة العليا,وإن نشوء هذا القلق يعني أن الناس قد أدركوا أنَّ نوعية الحياة الجديدة لا تعني الرفاهية المادية والقدرة على الاستهلاك فحسب وإنما تعني أيضاً الارتقاء الكلي في كل جوانب الحياة الإنسانية على مستوى مختلف الوظائف والعلاقات والتفاعلات (محمود كاظم وآخرون،2010م :4).

وأكدت دراسة أخري علي أن العصر الحالي يشهد العديد من المتناقضات بسبب العولمة، فالصراع والتنافس على المادة أدى إلى تهاوي العديد من القيم والمعاني الإنسانية الجميلة، وفي الوقت نفسه نجد أن التغير السريع والمفاجئ في إيقاع الحياة، خصوصاً في الجوانب التكنولوجية أدى إلى إصابة بعض الأفراد باللامبالاة والعجز نتيجة عدم توافقهم مع هذه التغيرات السريعة، الأمر الذي يجعل الفرد أثير العزلة (محمد فائق،2000م: 162).

وأوضحت دراسة أخرى أيضاً التأثير السلبي للعولمة على الجوانب السيكولوجية في تزايد معدلات الأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية والمشكلات النفسية الاجتماعية فى البلدان التى أخذت بزمام العولمة نتيجة لعدم اتساق الثقافة الجديدة الناجمة من العولمة مع الثقافة التقليدية للمجتمعات مما يحدث الصراع القيمي الاجتماعي إضافة إلى تفاوت الدخول الذي أدى إلى نوع من الصراع بين أفراد المجتمع بين الفقراء والأغنياء كذلك تزايد قيم الفردية مقابل قيم الجماعية وانخفاض اعتبار الذات الجماعي لدي أفراد المجتمع(Sagar& Sharma ,2010:413) .

وفي ضوء ما سبق ذكره يمكن القول بان هناك العديد من الآثار السليبة للعولمة والتي ظهرت في انتشار القيم المادية محل القيم الروحية وإحلال الفلْسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية وتغريب الإنسان المسلم وعزله عن قضاياه وهمومه الإسلامية،وإدخال الضعف لديه،والتشكيك في جميع قناعته الدينية،وهويته الثقافية مع إشاعة الجنس وثقافة العنف التي مِن شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب وما يترتّب على ذلك من انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات الإسلامية،وذلك يتعارض مع النظام الإسلامي الاجتماعي والأخلاقي الذي أراد الإسلام في ظلّه أن يبني مجتمعاً إسلامياً مؤمنًا فاضلاً من خلال مجموعة من القيم الأخلاقية والتشريعية والحضارية ،التي يخاطب بها القرآن الكريم لكل الناس دون تمييز أو تفاضل في اللون أو الجنس فعلاقة المسلم بغيره مبنية على الانفتاح في إطار التعددية والود والتعاون على الخير والبر.

ولذلك تحاول هذه الورقة بلورة التصور الإسلامي لأساليب العلاج النفسي والاجتماعي في عصر العولمة للتعامل مع المشكلات النفسية والاجتماعية التي تواجه الفرد من خلال منظور متكامل يستند إلى قاعدة علمية مستمدة في المقام الأول من معارف وتعاليم الدين الإسلامي ، بالإضافة إلى معارف العلوم الاجتماعية والنفسية بهدف مساعدة الأفراد على تحسين مستوى تدينهم وإشباع احتياجاتهم ومواجهة مشكلاتهم وتنمية قدراتهم إلى أقصى حد ولكن في ضوء القواعد والأسس الإسلامية التي تؤكد علي عالمية الإسلام والغاية من خلق الإنسان وانه خليفة الله في الأرض و تتمثل هذه الخلافة في إعمار الأرض بكل خير وهناء وسعادة،وليس في محاولة خرابها وتدميرها وتحويل حياة البشر إلى حروب وقلق وصراع , وفي هذا السياق نجد العديد من الأدلة الصحيحة التي أكدت على عالمية الإسلام لا يتسع المجال لحصرها ولكن نذكر منها ما يؤكد ذلك وبما يناسب مع طبيعة الدراسة الحالية :-

1- جاء في القران الكريم الكثير من النصوص الصريحة التي أكدت على عالمية الإسلام فهو دعوة عامة من الله تعالى إلى الناس جميعاً ولا يخص جهة بشرية بعينها قوماً أو جنساً أو عرقاً فالكثير من النصوص القرآنية التي أكدت على ذلك منها قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} سبأ:28). وقوله Ψ:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} الأعراف:158) فالقرآن الكريم يخاطب كل الناس كما في قوله I:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..} الحجرات:13), مع مراعاة أن هذا التعارف ينبغي أن ينصب على احترام حق الغير في الاختلاف كما جاء ذلك في قوله Ψ:{.. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً..} المائدة: 48) ,مؤكداً علي الانفتاح والتآخي والتعاون بين بني البشر وإسعاد البشرية, قال جلا شانه{.... وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..} المائدة:2) فهذه الآية تؤكد على التعاون والبر والتقوى خلافاً لما يوصف به الإسلام من طرف المعادين له وأمر القرآن المسلم بالتسامح والتآخي والسلم ونشر الطمأنينة والسكينة بين سكان المعمورة حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً..} البقرة: 208).

2- ما أكدت عليه السنة النبوية المطهرة في الكثير من الأحاديث الصحيحة منها قوله صلى الله عليه وسلم في خطابه مع قومه: {والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة} رواه أحمد في المسند 66/2) حرصت السنة المحمدية على تدعيم السلوك الحسن لكل البشر، واهتمام المصطفي بإرسال السفراء والرسل ومعهم الكتب منه إلى جميع الزعماء والملوك دليل قاطع على عالمية رسالة الإسلام التي جاء بها.

3- الكثير من الأدلة العقلية التي تؤكد عالمية الإسلام منها عالمية التشريعات والأحكام القرآنية التي جاء بها الإسلام لكل البشر والتي تعتمد علي المساواة بين جميع البشر فرسالة الإسلام عالمية في كل أحكامه وتشريعاته وأنظمته التي يتساوى فيها الناس جميعا في كل مكان وفي أي زمان فالمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العنصرية والطائفية،والمعيار الوحيد للتفاضل بين الناس هو التقوى، قال تعالى:{..إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ..}الحجرات:13),كما ان الخطاب في القرآن الكريم كثيراً ما يوجه الي عامة الناس غير مقيد بشيء، وهذا دليل واضح على أن الإسلام لجميع البشر بل للإنس والجن كما في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة:21) وقولهΨ:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} النساء:1).

كما يؤكد الإسلام على تكريم الإنسان وحرمة قتل النفس بغير حق أو القيام بالفساد في الأرض بمثابة من قتل الناس جميعا كما جاء ذلك في فوله تعالي: {...مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ....} المائدة:32) وتأكيد الإسلام علي الإحسان والبر بغير المسلمين والدعوة للحوار بين الناس لإنهاء أسباب التناقضات العقدية والمنهجية بغية هداية البشرية إلى الحق مما يؤكد على عالمية الإسلام.وفي ضوء الآيات السابقة وغيرها من الآيات الكثيرة والتي لا يتسع المجال

لذكرها،والسنة النبوية التي تذخر بالأحاديث الصحيحة والتي تؤكد علي أن الدين الإسلامي قائم على ثوابت هامة لكل بني البشر تتجلى في التآخي وحب الخير للجميع والأخذ بيد الضعيف والمساواة في الحقوق والواجبات والأمانة والإحسان وإصلاح المجتمع وخلافة الإنسان في الأرض واستعمارها مما يجعل المبادئ الإسلامية أرضية صالحة لبناء عولمة جديدة والتي تمثلت في الإرادة الإلهية التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور لا تتسم بالجبر ولا تعرف الإكراه ،لأنها تتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ،ليس فيها تمييز، تلتقي فيها كل الحضارات وتعزز فيها الديمقراطية وتعيد الثقة والمصداقية في النفوس البشرية وفي ضوء عالمية الإسلام يمكن توضيح معالم التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية.

2: التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية:

يلاحظ أن هناك العديد من الاتجاهات والنظريات التي حاولت تفسير السلوك الإنساني والطبيعة البشرية فهناك نظريات تؤكد على الجانب البيولوجي في الإنسان أكثر من التأكيد لأي جانب آخر، وهناك العديد من النظريات تنظر إلى الإنسان كشبكة من وصلات عصبية وارتباطات بين مثيرات استجابات تتم وفق قواعد وقوانين ثابتة هذه النظريات جردت الإنسان من حريته وإرادته وطاقاته، لذلك فإننا في حاجة ماسة إلى تصور جديد للإنسان لمساعدته على فهم نفسه ومحاولة تحريرها من القيود والحتميات التي وضعتها النظريات السابقة ومساعدته على التعرف على حقيقة وجوده والسعي لربط نفسه بالغايات الكبرى التي خلق من أجلها فنحن على يقين بأننا لا نستطيع التعرف على الطبيعة الإنسانية بمعزل عن الخالق سبحانه وتعالى ويكون ذلك في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويتم التعرف على الذات الإنسانية ومكوناتها وأبعادها المختلفة والنفس والعقل والروح والقلب،والتعرف على إرادة الإنسان والغاية من خلقه،وأهم الصفات الإنسانية له,حتى يمكن بلورة التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية لاستخدام هذا التصور في تفسير المشكلات الاجتماعية والنفسية التي تواجه الفرد وذلك من خلال الجوانب التالية:

أ- النفس النفس البشرية هي الكل من الجسد والروح الذي نطلق عليه أحيانًا اسم الذات بلغة علم النفس ، والنفس بهذا المعنى تحمل سمات كل من الجسم والروح لأن صفات الجسم وخصائصه تشكل جزء من سلوك الإنسان الفرد ، وأن صفات الطول والقصر والسواد والبياض ، والسرعة والبطء 00 تجعلنا نطلق في كثير من الأحيان أن فلانًا هذا أهوج أو أرعن أو مندفع أو أنه كسول أو لطيف الطبع أو ماكر خبيث (عزت الطويل,2005م:33)

وذكر الله تعالى النفس في القرآن الكريم وقد وصفها بعدة أوصاف منها(النفس الأمارة بالسوء) كقوله I : {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ 00} يوسف : 53) والنفس اللوامة وهي النفس التي يقع عنها الحساب كما يقع عليها وجاء ذكرها من أجل ذلك مقرونا بيوم القيامة كقوله Y:{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } القيامة : 1 – 2) ،والنفس المطمئنة بقوة الإيمان والثقة بالغيب كقوله Ψ : {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} الفجر : 27 : 28) ؛ وبالنظر إلى الآيات التي وردت فيها النفس تجد أنها تمر بحالات متعددة فهي مطمئنة في حالتها السوية الطبيعية ، وفي بعض الأحيان يوسوس لها الشيطان بفعل الشر ، وإذا فعل الإنسان الشر فإن النفس تستفيق وتلوم أما إذا استمرت في هذا الخضوع فإنها تصبح أمارة بالسوء وداعية إلى الشر ، ويقول ابن القيم رحمه الله :" وصف سبحانه وتعالى النفس في القرآن الكريم بثلاث صفات:المطمئنة والأمارة بالسوء واللوامة ، واختلف الناس هل هي نفس واحدة وهذه أوصافها أم للعبد ثلاثة أنفس:نفس مطمئنة ونفس لوامة ، ونفس أمارة بالسوء ،ويقرر أنه لا نزاع بين الفريقين فإنها واحدة باعتبار ذاتها وثلاث باعتبار صفاتها فإذا اعتبرت بنفسها فهي واحدة وإن اعتبرت مع كل صفة دون الأخرى فهي متعددة وما أظنهم يقولون إن لكل أحد ثلاثة أنفس كل نفس قائمة بذاتها مساوية للأخرى في الحد والحقيقة ، وأنه إذا قبض العبد قبضت له ثلاثة أنفس كل واحدة مستقلة بنفسها(شمس الدين ابن قيم ,د ت : 75- 76) .كما يناقش ابن القيم رحمه الله هذه المسألة في كتاب الروح فيقول : أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة

باعتبار طمأنينتها إلى أنها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه (شمس الدين ابن قيم، 1999م:294).

ب- الروح : عنصر هام من عناصر الذات الإنسانية تكلم عنها العلماء والفلاسفة والمفكرين حتى العوام تساءلوا عنها وورد ذكرها في القرآن الكريم دون تحديد لها بجوهر أو عرض في قوله I :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي 00 } ، الإسراء : 85)، وينظر القرآن الكريم إلى الروح نظرة كاملة شاملة ويتناولها تناولًا محدودًا يضفي عليها فهمًا صحيحًا ،وقد جاء في كتاب الروح "00 وأما الروح فلا تطلق على البدن بانفراده ولا مع النفس ، وتطلق الروح على القرآن الكريم الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله فقال Y:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا 0 }الشورى: 52) وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن(شمس الدين ابن قيم,1999م:349) ،والفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا بالذات ،فكلما خف البدن لطفت الروح وخفت وطلبت عالمها القوي ، وكلما ثقل وأخلد إلى الشهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت من عالمها وصارت أرضية مغلبة ، فترى الرجل روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك فيكون نائمًا على فراشه وروحه عند سدرة المنتهى تجول حول العرش، فإذا فارقت الروح البدن التحقت برفيقها الأعلى؛ فعند الرفيق الأعلى كل قرة عين وكل نعيم وسرور وبهجة ولذة وحياة طيبة وعند الرفيق الأسفل كل هم وضيق وحزن ومعيشة ضنك (شمس الدين ابن قيم ،2002م :183).

ويمكن القول: بأن الجانب الروحي في الطبيعة الإنسانية هو الجانب المعنوي في حياة الإنسان الذي يجعله يميل فطريًا إلى أن يسمو بنفسه ويعلو على ذلك الوجود الحسي المتمثل في إشباع الشهوات وما يصاحبها من ماديات ويجعل الإنسان يتطلع دائمًا إلى الجانب السماوي المقدس في تكوينه وهو ما يمثل هذا الجانب الروحي للإنسان.

ج- العقل: إذا أردنا أن نعرف العقل قلنا إنه قوة في الإنسان تدرك طرائف من المعارف المادية واللامادية، وحتى تتضح لدينا ماهية العقل يمكن القول بأن عقل الفرد يجب أن يدرك ما يلي:-

أولا: ماهيات الماديات؛ أي كنهها لا ظاهرها.

ثانيا: معاني عامة كالوجود والجوهر والعرض والعلية والمعلولية والغاية والوسيلة والخير والشر والحق والباطل.

ثالثا: العلاقات كالعلاقة بين أجزاء الشيء الواحد وعلاقات الأشياء فيما بينها وعلاقات المعاني والعدد والترتيب وهذه المدركات غير المادية ليست موجودًا واقعيًا، وإنما الموجود إدراك معنى غير مادي، ويدرك بالعقل.

رابعا: المبادئ العامة في كل العلوم إجمالًا .

خامسا: وجود موجودات غير مادية كالنفس وخصائصها الذاتية بالاستدلال بالمحسوس على المعقول أو بالمعلول

سادسا: وبالاستدلال أيضًا يؤلف الفنون والعلوم مما لا مثيل له عند الحيوان الأعجم مع حصوله على المعرفة الحسية، وليست المعرفة العقلية مطلقة ولكنها مقيدة بحدود، وهناك نوعان من الأمور التي تخفى على العقل فهناك

أمور تدركها بعض العقول ولكنها تبقى مغلفة ومحجوبة بالأسرار إلى معظم البشر، وهناك أمور لا يتسنى إدراكها لأي عقل إنساني مهما بلغت حدته وقوة نفاذه، وذلك هو العظيم المطلق الله (Y) الذي جاوز جميع حدود العقل ويصبح العقل محكًا من المحكات الرئيسة يلتزم بواسطتها الإنسان الصراط المستقيم والطريق السوي الذي يمكنه من الوصول إلي الطريق المستقيم، ويصبح الابتعاد عن توظيف العقل ضربًا من ضروب الضلال وسببًا من أسباب الانحراف الذي يبعد الإنسان عن الصراط المستقيم (أحمد زغلول ,1994م: 13-14).

د- القلب :تناول القرآن الكريم القلب، وعبرت عنه الآيات فقال I :{00 يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}،الشعراء : 88 : 89)،والقلب هو الروح الإنساني المتحمل لأمانة الله المتحلي بالمعرفة الموجود فيه العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد بقوله بل فهو أصل الآدمي ونهاية الكائنات في عالم المعاد (أبو حامد الغزالي، 1981م:17-16) .والقلب هو

اللب وهو الروح التي نفخها الله فيه من روحه، وهو الحقيقة الإنسانية العاقلة المميزة المفكرة التي ميز الله بها الإنسان وأكرمه وهي التي تعقل ربها وتدرك وتفقه وتفكر وتتأمل في آياته وسننه,والقلب يتغذى بالتفكر والتأمل في آيات الله ورحمته وفضله وبره وتربيته لعبده في الطعام والشراب والهواء، والتقلب في أسباب الحياة ليلًا ونهارًا، يقظة ومنامًا، واجتماعًا وانفرادًا (شمس الدين ابن قيم،2004م: 73).

والعلاقة بين العقل والوحي علاقة ذات طبيعة خاصة جدًا تتطلب حرصًا ودقة في التناول فالعقل وسيلة لإدراك صدق الوحي كما يرى أهل الاعتدال، لأن الوحي قد قام الدليل الفعلي العقلي على صحته من خلال الإعجاز والتحدي فقد أثبت عجز البشر على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله إذًا فالإيمان بالله وبالرسول والكتاب بالنسبة لنا حقائق موضوعية، وهناك أدلة عقلية على صحتها فهي ليست مجرد دعوة اعتقادية بل هو إيمان يقوم على علم وقضايا الإدراك في المنظور الإسلامي ترتبط بطريقة ما بقضايا الوجدان بل والسلوك أيضًا؛ فإذا كان القلب صافيًا وذكيًا يفتح الطريق أمام العقل المتأمل المتدبر المتزن لإدراك صحة الوحي والإيمان بحقائقه وكلاهما يتطلب استقامة بالسلوك واعتدالًا في القصد (إبراهيم رجب،2004م:61-60).

ويتبين لنا مما سبق أن التصور الإسلامي يعالج الطبيعة الإنسانية للإنسان بطريقة شمولية بحيث لا يترك فيها شيئًا ولا يغفل أي جزء من مكوناتها الأساسية (جسم – نفس – قلب – عقل – روح) بطريقة تكاملية بين هذه الأجزاء في نسق واحد،وتجدر الإشارة إلى أولئك الذين يتصورون وهمًا أن مذاهبهم أو نظرياتهم التي تناولت الطبيعة الإنسانية من الممكن تصور جسمًا بلا عقل أو روحًا بلا جسم أو عقلًا بلا روح ثم يوهمون أنفسهم بأن هذا التناول الجزئي للإنسان يجعل تصوراتهم علمية دقيقة؛وهذا التناول الجزئي للإنسان بالدراسة يجعل عوامل الضبط والتحكم في أمور الإنسان أكثر دقة وأكثر منهجية مع أن حياة الإنسان المادية لا تنفصل عن حياته العقلية وحياته الروحية ومشاعره ومعنوياته وتتبلور حقيقة الكيان الإنساني من خلال التفاعل بين الجوانب المادية والنفسية والعقلية والروحية

3: المسلمات الأساسية للمدخل الروحي

المسلمة عبارة عامة تمثل موقف المفكر الأساسي حيال قضية فكرية عامة، وتقبل المسلمة إذا ما ثبت صحة الفروض التي نستنبط منها، ويستمد هذا المنظور مسلماته وافتراضاته الأساسية من نظرة الإسلام للإنسان، وطبيعة الحياة الإنسانية، وعلة وجود الإنسان وعلاقته بالله سبحانه وتعالى وعلاقته بالآخرين في هذا الكون، وتعتبر المسلمات منطلقات أساسية لا غنى لهذا المنظور عنها وتتمثل فيما يلي(علي زيدان,2005م:144- 147)

أ- الإيمان بالغيب:الإيمان يعني التصديق ، ويقصد بهذه المسلمة أن حدود ما يصدق الإنسان لا تقتصر على مجرد ما هو موجود في محيطه المادي ، وما يمكن إدراكه بالحواس مع الاستعانة بالأجهزة والأدوات المادية ، ولكنها تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك ،وقد أكد القرآن الكريم على أن الإيمان بالغيب من صفات المتقين فيقولI :{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } البقرة : 3) وفي السنة النبوية المطهرة حين أتى جبريل يسأل رسول الله ρ: { أخبرني عن الإيمان ،فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، قال صدقت00}(رواه مسلم بن الحجاج ،ج 1: 2).فالإيمان بالغيب يقتضي التصديق بوجود الله سبحانه وتعالى والإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

ب- الوحي مصدر يقيني للمعرفة عن الإنسان والكون وترتبط هذه المسلمة بسابقتها،فالإيمان بالغيب يقتضي التصديق بأن القرآن كلام الله جاء لهداية الإنسان وتعليمه وتنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبأمثاله من المخلوقات أورد فيه العديد من الحقائق الكونية والاجتماعية ،وأن كل ما جاء به حق وصدق، والقرآن والسنة الصحيحة مصدران أساسيان من مصادر المعلومات اليقينية عن سنن الله في خلقه في عالم الشهادة بالإضافة إلى أنها المصدر الوحيد اليقيني للمعرفة عن عالم الغيب وما يحكمه من قوانين وسنن والتسليم بما ورد في القرآن والسنة النبوية الصحيحة من قوانين وسنن على أنها حقائق لاشك فيها واستحالة التعارض بين الوحي والحقائق الكونية.

ج- الوجود الدنيوي أحد أشكال الوجود الإنساني سبقه ويليه أشكال أخرى للوجود لا يقتصر الوجود الإنساني في نظر الإسلام على مرحلة الحياة الدنيوية، كما أن الصورة التي يوجد عليها الإنسان في هذه الحياة ليست هي الصورة الوحيدة للوجود الإنساني فهناك الوجود الغيبي قبل الميلاد وبعد الموت، فالحياة الدنيوية تتمثل في اجتماع الروح والجسد حيث كانت منفصلة عنه قبل أن تنفخ فيه أثناء الحمل لم يكن عدما محصنا، وإنما هو صورة أخرى من أشكال الوجود التي تتحول إلى صورة أخرى عند الموت هي صورة الحياة البرزخية، وقد أخبر الوحي عن حال الإنسان قبل حياة الدنيا وفي القبر عند البعث وما يلقاه المطيع من النعيم وما يلقاه العاصي من العذاب،ويقتضي ذلك من المعالج أن يضع المراحل المستقبلية للإنسان بعد الموت ومساعدته على طاعة الله وتحقيق السعادة الدائمة في كل من الدنيا والآخرة أثناء عملية المساعدة.

د-الإنسان هو مختار محاسب: أثبت القرآن والسنة ذلك إثباتًا لا لبس فيه أن الإنسان مختار ومسئول عن نتائج اختياراته،وأن مشيئة الله اقتضت هذا، ووهب للإنسان أداة الاختيار وهي العقل وبين له عن طريق الوحي ما يفعل وما يترك وثواب المطيع وعقوبة العاصي وأسقط التكاليف،ويجب على الإنسان أن يدرك بعقله أن حريته محدودة وتحد هذه الحرية مواقف لا يستطيع فيها اختيار فعلية أن يقبل قضاء الله وقدره وخياره ويرضى ويقنع بأنه هو الخيار الأفضل.

هـ- الإنسان مخلوق لغاية : وهذه الغاية يحددها الله سبحانه وتعالى في قوله Y {00 وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً 00} البقرة :30) وأن خلافة الإنسان على الأرض تأتي عن جدارة حيث أعده الله تعالى عن طريق العلم والتعليم لامتلاك أسباب تلك الخلافة حيث علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها ، وتشير هذه المسلمة أن دراسة الإنسان لا يمكن أن تتم بمعزل عن خالقها(محمود فتحي عكاشة , 1997م: 175- 177).

و- الإنسان مخلوق ذو طبيعة مزدوجة فالإنسان قبضة من طين ونفخة من روح الله ، ويصبح الحديث عن الإنسان ناقصًا إذا ما تحددت طبيعة الإنسان بتكوينه الجسماني العضوي

والبيولوجي والعصبي فقط فنحن لا ننكر الجانب الذي يمثل الطين والتراب بل نؤكد على أهميته ، ولكن نضيف أن دراسة الإنسان لا تتم إلا بالتأكيد على جانبه الروحي ؛ فهذا الجانب الذي جعل الإنسان أشرف وأكرم الكائنات الحية فقال I :{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ،فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } ص 71 : 72) .

ي- الإنسان مخلوق في كبد :قال Y :{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ }،البلد: 4)،وقال I {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} الأحقاف: 15)؛ أي يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وأن الدنيا دار ابتلاء.

ز- قدر الله في تقدير المصائب للإنسان عدة علل منها : الابتلاء والاختبار، وارتكاب الذنوب، والغفلة عن ذكر الرحمن والتكفير عن الخطايا وحكمة الله في قضائه رحمة بالإنسان، وبالإضافة إلى ما سبق فهناك مجموعة من المسلمات التي يقوم عليها البحث العلمي من المنظور الإسلامي التي تعطي العلم أصالته في إطار الفهم الأشمل لحياة الناس في هذه الدنيا وفي صلتهم التي لا تنفصم بحياتهم في دار الخلود،وهذه الافتراضات أو المسلمات تتمثل فيما يلي:

- وحدة الخالق ووحدة الخلق : إن وحدانية الله سبحانه وتعالى هي محور التصور الإنساني وذروة سنامه ، والإيمان بوحدانية الله هو أول وأهم عامل على الإطلاق ، وأن الله سبحانه وتعالى متصف بكل صفات الكمال ، وأنه مطلق الإرادة والتصرف في ملكه لا شريك له { 00 أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ 00 } الأعراف: 54) ،ويترتب على وحدانية الخالق وبالضرورة وحدة الخلق{00 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا 00} الأنبياء : 22)
- وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة: العقل والوحي يتكاملان ويتكاتفان على فهم الغايات والأسباب وعلاقتهما في هذا الوجود كما فطره البارئ وسخره وهذا يصدق طبعًا إذا استقام فهم معنى العقل ودوره ومعنى الوحي ودلالته وطبيعة التكامل وصورته وعدم إمكانية الفصل في التصور الإسلامي بين الجوانب الإدراكية الوجدانية والروحية والسلوكية.

تكامل الوحي والعقل والحواس: أي استحالة وجود تناقض بين معطيات الوحي ومعطيات العقل والحواس (نجوى الشرقاوي،1999م:92).

4- اساليب المدخل الروحي في الخدمة الاجتماعية:

لما كان التصور الإسلامي للعلاج يسعى لإشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية)وإشباع الحاجات الروحية (المتصلة بصلة العميل بربه) ولتحقيق ذلك فإن التدخل العلاجي يتضمن العديد من الاستراتيجيات والأساليب العلاجية التي يقوم المعالج المشتغل بهذا المنظور باختيار وانتقاء الأساليب التي تتناسب وظروف كل حالة على حدة ولا تقتصر الجهود العلاجية على التعامل مع الحالة فقط بل تمتد إلى حيث توجد العوامل التي أدت إلى حدوث المشكلة سواء كانت في شخصية العميل أو في أسرته أو في المجتمع الذي يعيش فيه،ويعتمد الممارس للتصور الإسلامي على العديد من الأساليب العلاجية(الروحية– المعرفية– الانفعالية– السلوكية– البيئية) وفي ضوء التعامل مع الآثار السليبة للعولمة وما يترتب عليها من مشكلات نفسية واجتماعية متعددة عجزت اساليب العلاج التقليدية التعامل معها بفاعلية بسبب اهتمامها بالجوانب الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية في شخصية العميل وعدم مراعاتها للجوانب الدينية والروحية في شخصيته أثناء التعامل معه لذلك حاولت الدراسة بلورة العديد من الأساليب العلاجية التي يمكن أن تساعد العميل على التعامل مع مشكلاته الحالية وتسعى إلي تقوية صلته بالله تعالى باعتبار أن العميل كل متكامل لا يمكن فصل أي جانب من جوانب شخصيته (الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية والروحية) عن الجانب الآخر،ويمكن إبراز ملامح هذه الأساليب بصورة موجزة فيما يلي:

ـ الأساليب الروحية: تتمثل في مساعدة العميل على التقرب إلى الله تعالى بالمحافظة على أداء الشعائر الدينية وأداء الصلاة في أوقاتها والمداومة على الأذكار والأدعية المأثورة وحفظ ما تيسر لها من القرآن الكريم مع الحرص على الاستغفار والاستعاذة بالله من الشيطان والثقة بالنفس وتقبل قضاء الله بنفس راضية.

الأساليب المعرفية: من خلال الحوار والمناقشة المنطقية لجوانب مشكلة العميل وصلته بالله تعالى والعوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث هذه المشكلة وكيفية التعامل معها ورؤية العميل لمشكلته في ضوء التفسير الإسلامي لها معتمداً في ذلك على التوضيح والتفسير والإقناع والتعليم والتأمل والتفكير المنطقي.

ـ الأساليب الانفعالية: من خلال مساعدة العميل عن الإفصاح والتعبير عن هذه المشاعر بحرية كاملة في ضوء علاقة الأخوة في الله تعالى والتعاطف والتقارب والمساعدة على الصبر وتنمية قدرة العميل على الصبر والتحمل للصعاب والشدائد التي يتعرض لها؛ طمعاً في ثواب الله تعالى.

. الأساليب السلوكية: من خلال تقديم نماذج القدوة الصالحة والأسوة الحسنة والنماذج الواقعية الأكثر تحسناً، وقبول المسئولية وتحمل الأمانة، الإثابة على السلوك الحسن والعقاب الذاتي.

ـ الأساليب البيئية: من خلال الاستفادة من الموارد البيئية الداخلية والخارجية المتاحة في المجتمع المحلي مع الاستفادة من كافة الخدمات التي تقدمها المؤسسات الحكومية والأهلية والتركيز على علاقات القرابة والرحم. وأخيرا يتطلب التصور الإسلامي أن يكون المعالج واسع الاطلاع وأن يزود نفسه باستمرار بالقراءة والبحث وأن يهتم بالتفسير الإسلامي لمشاكل العملاء التي يتعامل معها وذلك في ضوء التراث الإسلامي وما جاء في الكتاب والسنة وكتب التفسير ويجب أن يكون نموذج يقتدي به العميل في سلوكه وتصرفاته وعليه الاستعداد والتهيؤ الكامل لإجراء المقابلات وإعداد الأسئلة وتوجيهها ومناقشة النصوص والاستشهادات بشكل جيد طبقاً لأهداف المقابلة.

المراجع

1) إبراهيم عبد الرحمن رجب: الإسلام والخدمة الاجتماعية، القاهرة، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع،2000م.
2) ـــــــــــــــ:العلوم الاجتماعية الوضع الراهن وأفاق المستقبل ،بحث منشور مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، المجلد3، العدد4، 2000م.
3) أحمد مجدي حجازي ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية ،بحث منشور عالم الفكر ،المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني ، المجلس بحث منشور الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر – ديسمبر 1999م .
4) إسماعيل عبد الفتاح الكافي :موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية ،الاسكندرية ،مركز الإسكندرية للكتاب ،2005.
5) الحبيب الجنحاني:ظاهرة العولمة الواقع والآفاق، ، بحث منشور مجلة المعرفة ,عدد 46 ,1420هـ .
6) السيد أحمد مصطفي ، إعلام العولمة وتأثيره علي المستهلك ، بحث منشور المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، عدد 256 ، يونيه 2000م.
7) سليمان بن الأشعث أبو داود:سنن أبي داود، تحقيق:محمد محي عبد الحميد،بيروت:دار الفكر ، دون سنة نشر.
8) شمس الدين بن قيم :كتاب الروح،تحقيق محمد محمد ناصر،القاهرة،دار التقوى للتراث ، 1999.
9) شمس الدين بن قيم :عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ,تحقيق احمد شعبان ,القاهرة،مكتبة الصفا، 2005م.
10) ـــــــــــــــ:مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة،مكتبة الصفا، 2004م.
11) ـــــــــــــــ:الفوائد ،تحقيق خالد محمد بن عثمان ، القاهرة ، مكتبة الصفاء ،2002م.
12) ـــــــــــــــ:مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، بيروت،دار الكتب العلمية بدون سنة نشر.
13) صالح الصنبع :المدخل الي التأصيل الاسلامي لعلم النفس ,الرياض مكتبة الرشد ناشرون .2010م.
14) عادل موسى جوهر:(عادل موسى جوهر التوبة إلى الله مدخل للعلاج في خدمة الفرد)، بحث منشور مؤتمر تطوير برامج خدمات الرعاية الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي،المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية بالتعاون مع المعهد العالمي الإسلامي، الجزء الثاني، 1995م.
15) عبد الصبور شاهين: العولمة جريمة تذويب الأصالة ، بحث منشور مجلة المعرفة عدد 48، 1420هـ
16) عبد الناصر محمد مغنم: ذراع جديد لأخطبوط الغزو الفكري، ، بحث منشور مجلة المجتمع ع 23 ,1419هـ.
17) عبد الوهاب المسيري: النظام العالمي الجديد، عولمة الالتفات بدلا من المواجهة ، بحث منشور مجلة المعرفة ,1420هـ .
18) عزت عبد العظيم الطويل : في النفس والقرآن ، ط 3 ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث، 2005م.
19) علي حسين زيدان .: نظريات وتطبيقات معاصرة في خدمة الفرد ، القاهرة، مطبعة المهندس ،2005م.

20) محمد فائق "حقوق الإنسان في عصر العولمة: رؤية عربيه مجلة منبر ابن رشد للفكر الحر. ع 2 ، 2000م.
21) محمود عبد الفضيل ، مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة ، دار الشروق ، القاهرة ، 2000م.
22) محمود فتحي عكاشة : علم النفس العام ، الإسكندرية ، مطبعة الجمهورية ، 1997م.
23) محمود كاظم ,اخرون:، جبر القلق من العولمة وعلاقته بالهوية الوطنية لدي طلبة الجامعة , بحث منشور مجلة الأستاذ، ع105, 2010م.
24) مسلم بن الحجاج أبوالحسين :صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ،دار إحياء التراث العربي ، دن.
25) مصطفى كامل السيد: العولمة والتحول الديمقراطي ، في العولمة : قضايا ومفاهيم،كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،القاهرة ، 2000م.
26) نجوى الشرقاوي :فاعلية التدخل في الأزمات مع حالات الطوارئ الطبية، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان ، 1999م.
27) هاشم عبده هاشم، :دور الإعلام في نشر تيار العولمة، بحث منشور مجلة كلية الملك خالد العسكرية، عدد صفر 1420هـ.
28) هانس بيتر مارتين– هار الدشومان.فخ العولمة. ترجمة: د. عدنان عباس علي, الكويت ,سلسلة عالم المعرفة,1999م.

30-Aisha Hamdan : Cognitive Restructuring: An Islamic Perspective , Journal of Muslim Mental Health,Vol ., 3 ,2008.
31-Bethel Joyous : Impact of Social work Spirituality Courses on Student Attitudes Values and Spiritual Wellness. Journal of Religion Spirituality in Social Work, Vol 23 (4) ,2004
32-Dinesh,H&Mastrogianni,A: Globalization and mental disorders Overview with relation to depression. British Journal of psychiatry, 2004.
33-Sagar,S&Sharma,M:Globalization, Threatened Identities, Coping and Well-Being, psychological studies,2010.
34-Hodg & Nadir :Moving Toward Culturally Competent Practice With Muslims: Modifying Cognitive Therapy With Islamic Tenets National Association of Social Work, C.C.C.Code 0037 .8045/03, 2008.
35-Williams, ,R: Spirituality and Religion in the lives of Runaway and Homeless youth: Coping withadversity, Journal of Religion &Spirituality in Social Work, vol. 24 (4) , 2004